بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ

الْعَطَاءُ وَالْبُخْلُ — آيَاتٌ مِنْ سُورَةِ اللَّيْلِ

١٩ يونيو ٢٠٢٦

الْخُطْبَةُ الْمَسْنُونَةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

سورة الليل — آيات ٥–١١

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾

إِنَّهَا آيَاتٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ- أَوْقَفَتْنِي بِالْأَمْسِ، وَوَضَعَتْنِي فِي حَالَةٍ تَمَنَّيْتُ أَنْ يَعِيشَهَا كُلُّ مُسْلِمٍ. وَأَعْتَرِفُ لَكُمْ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ، أَنَّ الْمَالَ لَمْ يَبْدُ لِي يَوْماً حَقِيراً كَمَا بَدَا لِي فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي تَلَوْتُ فِيهَا هَذِهِ الْآيَاتِ الْوَاضِحَةَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ. وَلَمْ يَبْدُ لِي **الْبُخْلُ** يَوْماً بِهَذَا الْقُبْحِ وَالنُّفُورِ، وَلَمْ يَتَجَلَّ لِي فِيهِ مَعْنَى الذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ بِهَذَا الْوُضُوحِ كَمَا فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي تَلَوْتُ فِيهَا هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى»- يَدَّعِي الْغِنَى وَهُوَ فَقِيرٌ- «وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى، وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى». إِنَّهُ سُؤَالٌ عَجِيبٌ يُحَوِّلُ الْمَالَ- الَّذِي كَثِيراً مَا يُفْتَتَنُ بِهِ النَّاسُ- إِلَى شَقَاءٍ عَلَى صَاحِبِهِ. نَعَمْ، إِنَّهُ سُؤَالٌ يَجْعَلُ الْمَالَ شَقَاءً عَلَى صَاحِبِهِ- ذَلِكَ السُّؤَالُ الَّذِي يَنْبَثِقُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ: «**وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى؟**»

فَمَاذَا يُفِيدُهُ- مِنَ الْمَالِ الَّذِي جَمَعَهُ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ وَرَبَضَ عَلَيْهِ كَمَا تَرْبِضُ الدَّجَاجَةُ عَلَى بَيْضِهَا- مَاذَا يُفِيدُهُ حِينَ يُقْذَفُ بِهِ فَجْأَةً فِي هَاوِيَةِ الشَّقَاءِ؟ أَيْنَ الْمَالُ الَّذِي يُنْقِذُهُ؟ أَيْنَ الثَّرْوَةُ الَّتِي تُخْرِجُهُ؟ أَيْنَ الْيَسَارُ الَّذِي كَانَ يَتَبَاهَى بِهِ- لِيُنْقِذَهُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ الْهَاوِيَةِ الَّتِي سَقَطَ فِيهَا وَلَا مَخْرَجَ مِنْهَا؟

يَا عِبَادَ اللَّهِ! دَعُونِي أَضَعُ أَمَامَكُمْ صُورَتَيْنِ. **الصُّورَةُ الْأُولَى** هِيَ صُورَةُ الْإِنْسَانِ الَّذِي اخْتَارَ بِمَحْضِ إِرَادَتِهِ أَنْ يَجْعَلَ الْمَالَ شَقَاءَهُ- الْمَالَ مَصْدَرَ عَذَابِهِ- حَتَّى وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ سَيَسْعَدُ بِهَذَا الْمَالِ. أَتَرَوْنَ ذَلِكَ الَّذِي يَلْهَثُ وَرَاءَ الْمَالِ أَيْنَمَا لَاحَ لَهُ؟ يَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، يَمْلَأُ بِهِ أَرْقَاماً فِي خِزَانَتِهِ، يُوَزِّعُهُ أَرْصِدَةً فِي الْبُنُوكِ هُنَا وَهُنَاكَ- وَيَنْظُرُ بِعَيْنَيْهِ إِلَى الْبُؤَسَاءِ الَّذِينَ أَنْهَكَهُمُ الْجُوعُ، وَوَسَمَهُمُ الْعُرْيُ، وَافْتَقَرُوا إِلَى الْمَأْوَى وَالسَّكَنِ. يَرْمُقُهُمْ بِنَظْرَةٍ مُتَعَالِيَةٍ، مُتَكَبِّراً مُتَغَطْرِساً. وَلَعَلَّهُ يَتَفَلْسَفُ فَيَقُولُ: 'لَقَدْ كَدَحْتُ وَعَرِقْتُ، فَجَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ. أَمَّا هَؤُلَاءِ فَهِيَ الْكَسَلُ الَّذِي دَفَعَهُمْ إِلَى سُوءِ مَصِيرِهِمْ، فَلْيَذُوقُوا عِقَابَ كَسَلِهِمْ!'- وَهَذَا بِعَيْنِهِ مَا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي فَجْرِ الْإِسْلَامِ حِينَ سَمِعُوا نِدَاءَ الْقُرْآنِ وَنِدَاءَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ:

سورة يس — آية ٤٧

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾

... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، الَّتِي يُوَبِّخُ فِيهَا كَلَامُ اللَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ- الْمُتَكَبِّرِينَ عَلَى نِعَمِ اللَّهِ. هَذِهِ هِيَ الصُّورَةُ الْأُولَى.

مَا مَآلُ هَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي جَمَعَ الْمَالَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ثُمَّ تَبَاهَى بِهَذَا الْمَالِ وَتَعَنَّتَ بِهِ؟ إِنِّي، يَا عِبَادَ اللَّهِ، عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ- بَلْ هَذِهِ الْفِئَةَ مِنَ النَّاسِ- لَنْ تَسْعَدَ بِهَذَا الْمَالِ أَبَداً. فِي الظَّاهِرِ، هَذَا الْمَالُ الْوَفِيرُ مَصْدَرُ بَرِيقٍ وَبَهَاءٍ- لَكِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ يُوقِظُ فِي دَاخِلِهِ صُوَراً شَتَّى مِنَ الشَّقَاءِ وَالْعَذَابِ. لَنْ تَجِدَ هَذَا الْإِنْسَانَ سَعِيداً حَقّاً فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِهِ. هَذَا الْمَالُ يَتَحَوَّلُ- كَمَا قُلْتُ لَكُمْ- فِي دَاخِلِهِ إِلَى شَقَاءٍ. يَجْلِبُ لَهُ أَسْبَابَ الْعَذَابِ- وَمَا أَكْثَرَهَا- تَتَسَلَّلُ كُلُّهَا إِلَى بَيْتِهِ، تَتَسَلَّلُ كُلُّهَا إِلَى جَسَدِهِ عَبْرَ شَتَّى الْأَمْرَاضِ الْمُخْتَلِفَةِ. الْمَالُ وَفِيرٌ، وَخِزَانَتُهُ مُمْتَلِئَةٌ، وَالْأَرْصِدَةُ كَثِيرَةٌ- لَكِنَّهُ يُعَانِي فِي لَيَالِيهِ وَأَيَّامِهِ مِنَ الْهَمِّ، وَيُعَانِي مِنَ الضِّيقِ، وَمِنَ الضَّنْكِ الْمُرْهِقِ. وَإِنِّي شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ- كَمْ مِنَ النَّاسِ رَأَيْتُ تَتَجَلَّى فِيهِمْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ فِي مَظْهَرِهِمِ الْخَارِجِيِّ.

أَمَّا **الصُّورَةُ الْأُخْرَى**- فَتَعَالَوْا نَتَأَمَّلْهَا. أَتَرَوْنَ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ الْآخَرَ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ- عَزَّ وَجَلَّ- عَلَيْهِ هُوَ الْآخَرُ بِمَالٍ وَفِيرٍ وَيَسَارٍ عَظِيمٍ، لَكِنَّهُ يَبْحَثُ عَنِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ أَيْنَمَا كَانُوا؟ يَزُورُهُمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ، يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمُ الْمُتَهَالِكَةَ، يُخَالِطُهُمْ، يُدْخِلُ عَلَيْهِمُ السُّرُورَ بِحُضُورِهِ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ. تَعَالَوْا أَضَعْ أَمَامَكُمْ هَذِهِ الصُّورَةَ- وَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ نَسْجِ الْخَيَالِ وَلَا حُلْماً مُتَخَيَّلاً، بَلْ **صُورَةٌ مِنَ الْوَاقِعِ، يَا عِبَادَ اللَّهِ** صُورَةُ رَجُلٍ- وَأَمْثَالُهُ كَثِيرُونَ- وَهَبَهُ اللَّهُ- عَزَّ وَجَلَّ- الثَّرَاءَ، وَوَهَبَهُ اللَّهُ الْكَرَمَ. يَبْحَثُ- **وَفِيهِ سِرُّ سَعَادَتِهِ**- عَنْ حَالِ الْبُؤَسَاءِ. دَخَلَ بَيْتَ أَحَدِهِمْ، دَخَلَ عَلَى هَذِهِ الْأُسْرَةِ

وَجلَسَ مَعَهَا فِي بَيْتِهَا الْمُتَهَالِكِ؛ كُلُّ مَعَالِمِ الْبَيْتِ تُنْبِئُ بِالْبُؤْسِ وَالْحُزْنِ وَالضِّيقِ، وَظِلُّ الْهَمِّ بَادٍ عَلَى وُجُوهِ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ- الْأَبِ وَالْأُمِّ وَالْأَبْنَاءِ. أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ مَبْلَغاً مِنَ الْمَالِ بَدَا لَهُ هُوَ شَيْئاً يَسِيراً، لَكِنَّهُ فِي عَيْنَيِ الْأُسْرَةِ كَانَ كَنْزاً لَمْ يَجْرُؤُوا عَلَى الْحُلْمِ بِهِ- كَنْزاً لَمْ يَتَوَقَّعُوهُ. حِينَ ظَهَرَ هَذَا الْكَنْزُ فِي عَيْنَيْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ- وَإِنْ كَانَ فِي عَيْنَيْ ذَلِكَ الْمُعْطِي مَبْلَغاً زَهِيداً- حِينَ وَقَعَ هَذَا الْكَنْزُ فِي يَدَيْ رَبِّ الْأُسْرَةِ، **تَبَدَّدَتْ فَجْأَةً ظِلَالُ الْبُؤْسِ وَالْهَمِّ مِنَ الْمَكَانِ.** تَبَدَّدَتْ فَجْأَةً عَلَامَاتُ الْحُزْنِ وَالضِّيقِ مِنَ النُّفُوسِ. نَظَرَ الرَّجُلُ فَرَأَى فَرَحاً غَامِراً فِي قُلُوبِ مَنْ كَانُوا قَبْلَ قَلِيلٍ يُعَانُونَ ضَنْكاً مُرْهِقاً. نَظَرَ إِلَى الْوُجُوهِ فَرَأَى بَرِيقَ الْفَرَحِ يَتَلَأْلَأُ عَلَى مَلَامِحِهَا. نَظَرَ هَذَا الْإِنْسَانُ فَوَجَدَ أَنَّ اللَّهَ- عَزَّ وَجَلَّ- قَدَّرَ لَهُ أَنْ يَرْسُمَ الْفَرَحَ عَلَى وُجُوهِ هَؤُلَاءِ الْبُؤَسَاءِ- رِجَالاً وَنِسَاءً، كِبَاراً وَصِغَاراً. هَذَا الْمَبْلَغُ الْمُتَوَاضِعُ مِنَ الْمَالِ أَيْقَظَ فِي دَاخِلِهِ نَشْوَةً لَا تُضَاهِيهَا نَشْوَةٌ؛ أَيْقَظَ فِي كِيَانِهِ سَعَادَةً لَا تُضَاهِيهَا سَعَادَةٌ. وَأَخَذَ يَتَسَاءَلُ: **‘هَلْ اسْتَطَعْتُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ أَنْ أَنْقُلَ أَفْرَادَ هَذِهِ الْأُسْرَةِ مِنْ عَالَمِ الظُّلْمَةِ وَحَلَكَةِ الْبُؤْسِ إِلَى ذُرَى السَّعَادَةِ وَالْفَرَحِ؟!’**